“١”

نجد

عياد

منذ القرن العاشر الهجرى حتى ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب

بقلم : د. عبد الله العثيمين

الحالة الدينية :

قبل مناقشة الحالة الدينية التي كانت سائدة في منطقة نجد من حيث الاعتقاد والعمل يحسن الكلام عن الناحية العلمية فيها والانتماء المذهبي لعلمائها ، ومن الواضح أن التعليم في تلك الفترة كان على نطاق ضيق ، فقد كان معدوما لدى قسم كبير من السكان وهم البادية ، وكان قليلا لدى القسم الاقل عددا وهم الحاضرة ، وكانت صعوبة الحياة الاقتصادية بصفة عامة ، وانشغال أكثر الناس بالبحث عن لقمة العيش ، وعدم من يتولى التعليم برعاية مالية من الامور التي حالت بين الغالبية العظمى من السكان وبين السبيل الى المعرفة •

● كان المفروض أن ينشر هذا البحث بالعدد السابق ليكتمل به موضوع نجد بين القرن العاشر الهجري حتى ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولاسباب خارجة عن ادارة المجلة تاجل لهذا العدد •

ومع ماتقدم فقد كانت هناك محاولات معينة للتعلم والتعليم حسب الامكانيات المتوافرة آنذاك ، ويبدو أنه كان للعامل الديني أثر في اقبال بعض أرباب الاسر القادرة ماليا على تعليم أبنائهم قراءة القرآن الكريم أو أجزاء منه على الاقل ، كما أنه كان للعامل الديني أيضا أثر في دفع القادرين علميا الى بذل مافي وسعهم لتعليم الآخرين مايعرفونه من علوم الشريعة . ومما يدل على رغبة بعض النجديين في طلب العلم ونشر المعرفة ماكانوا يقومون به من أسفار داخل منطقتهم وخارجها للتزود بالمعرفة والتعمق في العلم (١) ومن دلائل تلك الرغبة استغلالهم فرصة مرور العلماء المتجهين الى الحج بمنطقتهم للاستفادة منهم (٢) ، ووقفهم الكتب على طلبة العلم (٣) ، اضافة الى اجتهادهم في التدريس .

ومن المؤكد وجود علماء في منطقة نجد قبل القرن العاشر الهجري ، ولعل من أوضح الادلة على ذلك ماوصل الينا من وثائق شرعية كتبها علماء من هذه المنطقة ، ومن هذه الوثائق وثيقة صبيح المشهورة التي يعود تاريخها الى منتصف القرن الثامن الهجري تقريبا ، (٤) ومن أدلة ذلك أيضا أن أحمد بن عطوة قرأ على علماء بلدة العيينة قبل سفره الى الشام للتزود بالعلم (٥) ، ومن المعروف أن أحد أساتذته في دمشق ، علاء الدين المرداوي ، توفي سنة ٨٨٥ هـ (٦) وذلك يعني وجود علماء في نجد قبل هذا التاريخ .

والمصادر لاتمدنا بمعلومات كافية عن علماء نجد خلال القرنين الثامن والتاسع من الهجرة ، لكن المعلومات عن علماء هذه المنطقة منذ بداية القرن العاشر حتى منتصف القرن الثاني عشر متوافرة بدرجة لا بأس بها ، ومن أهم روافد هذه المعلومات تلك الاشارات الموجودة في تواريخ بعض النجديين كأحمد ابن بسام والمنقور والفاخري وابن بشر وابن عيسى ، يضاف الى ذلك ماتضمنه كتاب الشيخ أحمد المنقور (الفواكه العديدة في المسائل المفيدة) من آراء وفتاوى فقهية لعلماء نجد الذين سبقوه أو عاصروه ، وكذلك ماتضمنه هذا الكتاب عنهم من أمور أخرى مثل ذكر مشائخهم وتلاميذهم والاجازات التي حصلوا عليها .

وفي هذا العام أخرج فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام كتابه القيم المتضمن تراجم علماء نجد خلال ستة قرون (٧) ، وقد ترجم فيه لحوالي سبعين عالما برزوا في هذه المنطقة منذ مستهل القرن العاشر تقريبا حتى ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولا شك أن هناك عددا قليلا من علماء نجد عاصروا هؤلاء ، لكن المؤلف الفاضل لم يترجم لهم ، وربما كان سبب ذلك عدم توافر المعلومات عنهم لديه (٨) ٠

ومن الملاحظ أن أكثر من نصف علماء نجد الذين سبقوا ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد ولدوا في بلدة أشيقر وتعلموا فيها ، وأن بعضا من غير المولودين في هذه البلدة قد وفدوا اليها لتلقي العلم عن مشائخها ومن الملاحظ أيضا أن أكثر من نصف العلماء النجديين في الفترة المذكورة ينتمون الى آل وهبة من قبيلة تميم ، وأن مايقرب من نصف هؤلاء ينتمون الى فرع واحد من فروع آل وهبة ، وهو آل مشرف أسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهذا يدل على أن بلدة أشيقر كانت خلال تلك الفترة مركزا علميا في منطقة نجد ، وأن آل وهبة بصفة عامة وآل مشرف بصفة خاصة قد احتلوا مركز الصدارة العلمية في نجد آنذاك ٠

ومن ناحية أخرى نجد أن عدد علماء القرن الحادي عشر يقرب من ضعف عدد علماء القرن الّذي سبقه ، ونجد أن عدد علماء النصف الاول من القرن الثاني عشر يقرب من مجموع علماء القرن الحادي عشر ، وذلك يوضح أن الحركة العلمية في المنطقة كانت في تقدم مستمر ، كذلك نجد أن خمسة عشر عالما نجديا لم يكتفوا بالدراسة داخل نجد ، وانما سافروا الى أقطار أخرى للتزود بالعلم والمعرفة ، ويلاحظ أن خمسة من هؤلاء كانوا من علماء القرن العاشر ، وستة من علماء القرن الذي يليه ، وأربعة من علماء النصف الاول من القرن الثاني عشر ، وهذا يعني أن نسبة المسافرين من علماء نجد الى خارجها قلت بالتدريج ، وربما كان ذلك عائدا الى أمرين : أحدهما ازدياد عدد العلماء داخل نجد ونبوغ بعضهم مما يتيح الفرصة لطلاب العلم النجديين أن يتعلموا في وطنهم ، والثاني قلة المشاهير من علماء المذهب الذي ينتمون اليه خارج البلاد النجدية منذ منتصف القرن الحادي عشر الهجري ، ففي الوقت الذي نرى فيه نبوغ علماء نجديين خلال القرن الحادي عشر ، مثل محمد بن

اسماعيل وسليمان بن علي وعبد الله بن ذهلان نلاحظ وفيات بعض كبار علماء المذهب الحنبلي خارج نجد ، فالحجاوي توفي سنة ٩٦٨ هـ ومرعي بن يوسف توفي سنة ١٠٣٣ هـ ومنصور البهوتي توفي سنة ١٠٥٢ هـ

مكانة علماء نجد العلمية وعلاقتهم بالآخرين :

يذكر فضيلة الشيخ عبد الله البسام أنه كان يوجد في بلدة أشيقر في وقت واحد أربعون عالما (كلهم يصلحون للقضاء يوم كان القضاء لايصل الى مرتبته الا فطاحل العلماء وكبارهم) (٩) وربما كان في هذه العبارة نوع من المبالغة ، لأن فضيلته ـ وهو خير من تقصى أخبار العلماء النجديين في هذه الفترة ـ لم يترجم لأكثر من أربعين عالما من أشيقر خلال ثلاثة قرون تقريبا ، ومن غير المرجح أن تختفي المعلومات عن هؤلاء العلماء خلال الفترة المذكورة بهذه الدرجة ، لكن ماوصل الينا من أخبار وفتاوى علماء نجد قبل ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب يدل على أن قسما من هؤلاء كانوا في مرتبة علمية جيدة ، على أن هذا القسم لايمثل أكثرية بأية حال من الاحوال ،ونادرا مابرز من بين هؤلاء من يمكن أن يقال عنه أنه كان من فطاحل العلماء وكبارهم ومن هؤلاء النادرين الشيخ أحمد بن يحيى بن عطوة أشهر علماء بلده في القرن العاشر الهجري ، كان ابن عطوة من مواليد بلدة العيينة ، وبعد فترة من تعلمه فيها قرر مغادرتها الى خارج نجد ، ويبدو أن سفره كان نتيجة لعدم رؤيته من كان قادرا على اشباع طموحه العلمي في وطنه ، وقد أصبح نشطا في دراسته على كبار علماء الحنابلة في دمشق ، مثل ابن عبد الهادي والمرداوي والعسكري ، وبلغ من نجاحه في دراسته هناك درجة جعلت زميله الفقيه الحنبلي المشهور ، موسى الحجاوي ، يقرأ عليه ويستفيد منه (١٠)

وحين عاد ابن عطوة الى نجد التف حوله طلاب العلم وانتفعوا بمعرفته حتى أصبح بعضهم ، مثل أحمد بن مشرف وعثمان بن زيد ، من مشاهير علماء المنطقة ، ولم يقتصر عمله في نجد على التدريس ، وانما كان مفتيا ومؤلفا ، ومن مؤلفاته التحفة البديعة والروضة الانيعة ودرر الفوائد (١١) ، وعلى هذا الاساس فانه كان أشهر عالم في نجد خلان القرن العاشر الهجري ٠

أما القرن الحادي عشر فقد شهد امتياز ثلاثة علماء نجديين في ثلاث مدن مختلفة : محمد بن اسماعيل في أشيقر وسليمان بن علي في العيينة وعبد الله بن ذهلان في الرياض ، وقد عبر ابن عيسى عن مكانة الشيخ محمد بن اسماعيل بقوله : (له الرئاسة في العلم في نجد) (١٢) كما عبر عنها سليمان بن علي بقوله : (الشيخ الامين والشامة البيضاء في العالمين) (١٣) أما درجة سليمان بن علي العلمية فقد وصفها ابن بشر بقوله : (كان علماء نجد يرجعون اليه في كل مشكلة من الفقه وغيره) (١٤) وعبر عنها محمد بن فيروز بقوله : (كان عالم نجد في قته على الاطلاق) (١٥) ومكانة ابن ذهلان العلمية تبدو واضحة فيما نقله عنه تلميذه أحمد المنقور في كتابه (الفواكه العديدة) المذكور سابقا ·

وعلى أية حال فانه من الواضح أن تركيز علماء نجد قبل الشيخ محمد ابن عبد الوهاب كان في مادة الفقه ، وكان اتقان هذه المادة كافيا لامدادمختلف المدن النجدية بما تحتاج اليه من قضاة ، غير أنه يوجد في حالات نادرة من خرج عن هذه القاعدة واهتم ببعض العلوم الاخرى ومن هؤلاء عثمان بن قائد المولود في العيينة والذي درس في كل من الشام ومصر ، وكان من بين مؤلفاته (نجاة الخلف في اعتقاد السلف) (١٦) لكن هذا العالم لم يتوف في نجد وانما توفي في مصر ، وربما كان اهتمامه بالعقيدة نتيجة لمناقشاته مع العلماء خارج هذه المنطقة ·

ولم تكن علاقة علماء نجد بغيرهم من علماء الاقطار الاخرى مقصورة على دراسة بعضهم على علماء تلك الاقطار ، وانما كانت هناك اتصالات أخرى بين هؤلاء أولئك ، فبعض العلماء النجديين كانوا يحاولون أن يدعموا آراؤهم بآراء علماء من خارج منطقتهم ضد مخالفيهم المحليين حول بعض المسائل الفقهية ، ومن ذلك مساهمة بعض فقهاء مكة في آرائهم عن الخلاف الذي دار بين علماء نجديين حول وقف السعدوني في العيينة ، (١٧) ومساهمة مفتي الاحساء الشافعي في رأيه عن الخلاف الذي كان دائرا بين العالم أحمد بن بسام وأحد خصومه النجديين (١٨)ومن أدلة الاتصال بين الفريقين أيضا ارسال مرعي بن يوسف احدى نسختي كتابه المشهور (غاية المنتهى) الى نجد وقوله في آخرها : (كتبه مرعي بن يوسف ·· وهو يقرىء جزيل السلام والرضوان لأخينا في الله خميس بن سليمان ، ويقريء مزيد الفضل والتبجيل للشيخ محمد بن اسماعيل) (١٩) ·

القضاء :

مما يتصل بالناحية العلمية القضاء ، ذلك أن الوصول الى مرتبته ناتج عن المعرفة بعلوم الشريعة ، وكان العلم لدى النجديين في تلك الفترة محصورا في هذه العلوم ، وكان التركيز ـ كما ذكر سابقا ـ منصبا على مادة الفقه التي كان اتقانها كافيا لتأهيل المرء للقضاء .

ومن الواضح أنه كان هناك اكتفاء ذاتي من القضاة النجديين في أكثر بلدان منطقتهم ، والمعلومات التي تحدد دخل هؤلاء القضاة وتوضحه غير متوافرة ، لكنه من الواضح عدم وجود مرتبات نقدية لهم ، ويبدو أن مصادر الدخل لديهم كانت مختلفة ، كانت هناك بعض الاوقاف المحلية التي تذهب منفعتها أو جزء من منفعتها للقاضي ، وكان بعض القضاة يتعاطون التجارة او الزراعة بطريقة من الطرق ، وكان من بين هؤلاء من يأخذون أجورا من المتخاصمين مقابل الفصل بينهم ، وذلك أمر اعتبره الشيخ محمد بن عبد الوهاب رشوة ، وكان من بين نقاط خلافه مع بعض خصومه (٢٠) ومن الواضح أن دخل القضاة كان بصفة عامة كافيا لاعاشتهم اعاشة طيبة ، كما كان كافيا لاتاحة الفرصة أمام أبنائهم ليتفرغوا للدراسة . وكان هذا غير متوفر لكثير من الاسر النجدية آنذاك .

ولما كان يتحلى به أكثر القضاة النجديين في تلك الفترة من عدل وحب للخير كان موقف المجتمع منهم موقف احترام وتقدير . وكانت كلمتهم مسموعة بين أكثرية الناس كما كانت مساعيهم الطيبة مقبولة لدى الساسة في منازعاتهم مع الآخرين ، ومن ذلك ماذكره المؤرخ ابن بشر من سير الشيخ سليمان بن علي مع ابن معمر الى بلدة البير وتعليله ذلك المسير بأنه للاصلاح بين الطرفين (٢١)

لكن فئة قليلة من القضاة النجديين آنذاك لم تكن تتحلى بما كانت تتحلى به الغالبية العظمى منهم ، ولذلك أصبحت محل انتقاد اجتماعي لاذع ، خاصة من أشد فئات المجتمع حساسية وهم الشعراء ، وكان من المعبرين عن ذلك الانتقاد الشاعر حميدان الشويعر الذي وصفهم بعدم العدل وأخذ الرشوة (٢٢)

ومن المسلم به أن كلام الشعراء يتصف بالمبالغة في كثير من الاحوال وأنه لايمكن قبول ماورد فيه دون حذر وتمحيص · لكن من الثابت أن فريقا قليلا من قضاة نجد آنذاك كانوا يجيزون لانفسهم مااعتبره آخرون ـ وفي مقدمتهم الشيخ محمد ـ رشوة ، كما سبقت الاشارة اليه ·

ومن المعروف أن القضاء وما يتصل به كان متعلقا بحاضرة نجد ، أما البادية فلم يكن لهم قضاة شرعيون وانما كانوا يتحاكمون الى العرف وتقاليد قبائلهم (٢٣)

الانتماء المذهبي لعلماء نجد :

الوثائق الشرعية التي كتبها علماء نجديون قبل القرن التاسع الهجري تدل على أن المذهب الحنبلي كان موجودا في منطقة نجد آنذاك ، وسفر علماء نجديين خلال القرن التاسع الهجري الى الاقطار التي كان يوجد فيها كبار علماء المذهب الحنبلي للاخذ عنهم دليل آخر على انتمائهم الى هذا المذهب قبل سفرهم من بلادهم · وكان في طليعة العلماء النجديين الذين سافروا لهذا الغرض أحمد بن عطوة المذكور سابقا ·

ومن الملاحظ أن جميع علماء نجد الذين ترجم لهم فضيلة الشيخ عبد الله بن بسام خلال الفترة التي سبقت ظهور المصلح محمد بن عبد الوهاب كانوا حنابلة ، واذا أضيف الى هؤلاء من لم يفرد لهم فضيلته تراجم خاصة ـ وهم عدد قليل ـ تأكدت الحقائق الآتية :

١ ـ انه لم يكن هناك عالم نجدي واحد ينتمي الى غير المذاهب السنية الاربعة المشهورة ·

٢ ـ انه لم يكن بين علماء نجد من ينتمي الى المذهب الحنفي ·

٣ ـ انه لم ترد أية اشارة الى عالم نجدي ينتمي الى المذهب المالكي سوى

راشد بن خنين ، لكن هذا العالم كان على أية حال متأخرا ومعاصرا للشيخ محمد بن عبد الوهاب لاقبله .

٤ ـ ان الشيخ حسين بن عثمان بن زيد كان العالم النجدي الوحيد الذي أشارت المصادر الى أنه ترك المذهب الحنبلي الى المذهب الشافعي .

وانتماء علماء نجد في تلك الفترة الى المذهب الحنبلي لايعني أنهم لايطلعون على كتب فقه المذاهب السنية الاخرى ويستفيدون منها ، وهذا أمر ينطبق على غيرهم ممن ينتمون الى هذا المذهب ، كما أن غيرهم ممن ينتمون الى المذاهب الاخرى يطلعون على الفقه الحنبلي ويستفيدون منه . وربما كان هذا الامر من بين أسباب استنجاد بعض علماء نجد في خلافاتهم الفقهية المحلية بعلماء من خارج منطقتهم ينتمون الى مذاهب سنية أخرى ، كما أشير اليه سابقا .

واذا كانت سيادة المذهب الحنبلي في نجد خلال تلك الفترة واضحة جلية فان الطريقة التي دخل بها هذا المذهب الى المنطقة يكتنفها الغموض . من المعروف أن الحنابلة لاقوا ضغوطا في بعض العواصم الاسلامية الكبيرة ، كما حدث لهم في بغداد خلال القرن الرابع الهجري ، وكان من علمائهم من هرب الى بلدان اسلامية أخرى (٢٥) ومن المحتمل أن نجدا كانت من بين الاماكن التي لجأ اليها بعض أولئك الهاربين وبوصولهم اليها بذروا فيها نواة المذهب الحنبلي ، ومن المحتمل أن أحد النجديين ـ أو فريقا منهم ـ درس على عالم من علماء الحنابلة خارج نجد ، ثم بدأ يدرس هذا المذهب بعد عودته الى بلاده فانتشر فيها .

ولم يكن غريبا أن يجد المذهب الحنبلي أرضا خصبة في البلاد النجدية ، فهو أقرب المذاهب السنية الاربعة الى ظاهر نصوص القرآن والحديث . وهو بهذه الصفة يمثل البساطة الى حد ما . والبساطة من الامور المحببة لدى الفرد النجدي الذي كان آنذاك أقل اخوانه من عرب الجزيرة تأثرا بالخارج . والفرد النجدي كان يعجب بمن يصمد في سبيل مايؤمن به ، وربما كان لصمودالحنابلة ـ كما فعل زعيمهم الامام أحمد وكما فعل ابن تيمية ـ أثر في اعجاب النجديين بهم ، وبذلك اجتمع عاملان ينسجمان مع نفسية النجديين : طبيعة المذهب الحنبلي وصمود بعض علمائه وكان أن ساد هذا المذهب البلاد النجدية .

العقيدة والعمل :

المصادر المتوافرة بين أيدينا غير متفقة في وصفها للحالة التي كان عليها النجديون من حيث العقيدة والقيام بأركان الاسلام خلال الفترة التي يتناولها هذا البحث ، فالمصادر المؤيدة لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تعطي صورة قاتمة لتلك الحالة ، لكن بعضها يختلف عن البعض الأخر في المدى الذي يصل اليه قتام هذه الصورة ، فابن غنام يصدر حكمًا عاما على أهل نجد بأنهم كانوا يأتون كل باب من أبواب الشرك ، ثم يورد تفصيلات معينة عما كانوا يفعلونه عند قبور بعض الصحابة الذين قتلوا أثناء حروب الردة والموجودة في الجبيلة وما حولها كما يذكر ماكانوا يقومون به عند بعض الاشجار في هذه المنطقة ، ويختتم هذه التفصيلات بذكر رجل اسمه تاج كان أهل الخرج يعتقدون فيه الولاية ويتجهون اليه بالنذور والدعاء (٢٦) وابن بشر يقول في حكمه العام ان الشرك بنوعيه الاكبر والاصغر قد فشا في نجد ، ويعطي أمثلة لما كان شائعا من ذلك الشرك ، لكنه لايذكر أسماء أهداف المشركين باستثناء قبة زيد ابن الخطاب في الجبيلة (٢٧) ويتفق كلا المؤرخين السابقين في تسمية هذه الفترة بالجاهلية (٢٨) ·

أما الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقد ذكر اعتقاد بعض الجهال بأناس معينين مثل تاج وشمسان وحطاب وحسين وادريس (٢٩) كما ذكر عن أحد خصومه من العلماء النجديين بأنه كان يتعاطى الطلاسم (٣٠) وأنه كان يوجد متصوفة على مذهب ابن عربي وابن الفارض في معكال ــ جزء من الرياض حاليا ــ (٣١) ومن ناحية أخرى أشار الى أن أكثرية بعض القبائل في نجد لم تكن تقوم بأركان الاسلام ، وأنها كانت تنكر البعث بعد الموت (٣٢) كما أشار الى أن أهل البادية قد كفروا بالكتاب كله وتبرأوا من الدين واستهزأوا بالحضر الذين يؤمنون بالبعث (٣٣) ·

لكن بعض المصادر تبرز نجدا موطنا لعلماء أجلاء أكثرهم كان يتحلى بالورع والصلاح · كما أنها تصور غالبية سكانها من الحضر ــ على الاقل ــ متمسكة بأحكام الاسلام ، منفذة لواجباته وسننه (٣٤) والاشعار التي قيلت في تلك الفترة لاتحتوي على مايخالف العقيدة الاسلامية الصحيحة أو يتنافى مع

أحكام الاسلام العامة · بل ان تلك الاشعار تبرز تمسك قائليها بعقيدتهم والتزامهم باسلامهم ، وتوضح أن المجتمع الذي عاشوا فيه كان مجتمعا مستقيما في أكثر تصرفاته (٣٥) ·

والمتتبع لتاريخ ابن غنام يرى بوضوح تحمسه لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، ومعرفة اتجاه صاحب المصدر يساعد على تقييم ماأورد من معلومات ، وفضل دعوة الشيخ محمد أمر لايمكن انكاره ، لكن ربما كان تحمس ابن غنام لهذه الدعوة المباركة من الامور التي دفعته الى تعميم حكمه على أهل نجد قبل ظهورها ليوضح مقدار فضلها ·

ومن الملاحظ أن الامور التي ذكر ابن غنام محصورة في منطقة نجدية معينة ، وأنه لم يشر الى وجود مثل هذه الامور في المناطق النجدية الاخرى ، فهل عدم اشارته دليل على عدم وجودها في تلك المناطق أم هو ـ على الاقل ـ دليل على عدم بلوغها الدرجة التي وصلت اليها في منطقة العارض ؟ من المعروف أن منطقة الجبيلة كانت موضع قبور بعض شهداء الصحابة رضي الله عنهم ، ووجود قبور أمثال هؤلاء قد يكون سببا لانزلاق بعض الجهال في تقديسها والانزلاق في مثل هذه الامور قد يؤدي الى التورط في أمور أخرى ، مثل تقديس الاشجار ونحوها ، ومهما يكن من أمر فانه من الممكن القول بأن تعميم ابن غنام من غير المسلم به تاريخيا ·

وابن بشر ـ كما هو واضح من تأمل تاريخه ـ كان أيضا من المتحمسين لدعوة الشيخ محمد وأنصارها ، وموقف كهذا قد يؤدي الى اصدار أحكام تنقصها الدقة ، ولو أخذنا كلامه عما حدث اثر انهيار الدولة السعودية الاولى ـ مثلا ـ لرأينا الدليل على ذلك ، يقول عن أهل نجد آنذاك :

(فتقاتلوا على سنن ما أنزل الله بها من سلطان ، وهجر كثير منهم الصلاة وأفطر في شهر رمضان ، وجر الرباب وأصوات الغناء في المجالس ، وسفت الذوارى على المجامع والمدارس ، وعمرت المجالس بعد النداءللصلوات واندرس السؤال عن أصول الاسلام وأنواع العبادات) (٣٦) ·

ومن الواضح عدم دقة بعض ماذكره هنا وهو انما أورده بمثل ما أورده به اظهار الفضل الدعوة وأنصارها أيام الدولة السعودية الاولى ، وايضاحا للدور الكبير الذي قام به الامام تركي بن عبد الله فيما بعد ، لكنه يلاحظ – من ناحية أخرى – أن ابن بشر لم يعمم حدوث الشرك عند كافة النجديين قبل ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وانما استعمل لفظ (فشا) الذي لايدل على العموم ، ومتوقع من ابن بشر – مهما كانت مبالغته – الا يعمم الشرك عند أولئك القوم وهو الذي ذكر في سوابقه من الامور عنهم مايدل على عدم امكانية ذلك التعميم .

أما بالنسبة لما أورده الشيخ محمد رحمه الله فانه من الواضح أن ماذكره عن الطلاسم خاص بأحد مناوئيه ، وقد نص المنقور في (الفواكه) على أن من علماء نجد من كان لايكتفي بكراهية الطلاسم وانما يحرمها مطلقا (٣٧) ، والمتصوفة الذين أشار الشيخ محمد الى وجودهم في معكال لم ترد أسماؤهم من بين علماء نجد .

وعلى أية حال فان ماذكره الشيخ حول بادية نجد آنذاك أمر جدير باهتمام الباحث ويوضح المدى الذي وصل اليه جهل كثير من سكان نجد بأمور الدين وعدم ممارستهم لواجباته .

ومن المقارنة بين المصادر المختلفة يبدو أن الحالة الدينية التي كانت سائدة في نجد آنذاك لم تكن بالصورة التي أظهرتها بها بعض المصادر المؤيدة لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الاصلاحية ويتضح أنها كانت غير متفقة مع قول من قال عن أهل المنطقة في تلك الفترة أنهم كانوا قد خلعوا ربقة الاسلام والدين (٣٨) وأنها كانت بعيدة عن الادعاء القائل بأن كل أثر للاسلام كان قد اختفى من نجد ، وأن قراءة القرآن والصلاة والزكاة والحج كلها أمور قد نسيت من قبل سكانها (٣٩) كما أن تلك الحالة – من ناحية أخرى – لم تكن مستقيمة كما قد يستنتج من المصادر الشعرية ، لقد كان هناك جهلة يمارسون أعمالا شركية ، لكن عدد هؤلاء كان – فيما يظهر – قليلا اذا قورن بمجموع السكان ، وكان هناك كثير من البادية الذين لايقومون بأركان الاسلام نتيجة جهلهم بها ، وكان موقف علماء المنطقة من هذا الوضع سلبيا

على العموم لكن كان هناك ملتزمون بأحكام الشريعة ، وقائمون بأركان الدين الاسلامي وما يأمر به الدين من واجبات وسنن ٠

وعلى أية حال فانه من الواضح أن منطقة نجد كانت في حاجة الى حركة اصلاحية توضح للجهال ما كان خافيا عليهم ، وتقضي على كل ما من شأنه أن يخل بعقائد الناس وتلزم من لم يكونوا يؤدون أركان الاسلام على أدائها ٠

وكانت نجد ـ فيما يبدو ـ مكانا مناسبا لنجاح مثل الحركة المذكورة فالصوفية لم تكن ذات جذور فيها ، كما هو الوضع بالنسبة لكثير من الاقطار الاسلامية آنذاك ، وكانت خالية من المذاهب غير السنية ، وكثير من البادية لم تكن لديهم آراء عن الدين ، ولذلك كان من المحتمل ألا تكون مجابهتهم صلبة لأية دعوة دينية ، خاصة اذا كان الجهاد من أهدافها ٠

ومن ناحية أخرى فقد كانت نجد في حاجة الى حركة سياسية تجمع شتات أماراتها وقبائلها تحت راية واحدة ليسود الامن والاستقرار فيها وكانت أيضا أرضا قابلة لنجاح أية حركة من هذا النوع ، فقد كانت بعيدة عن متناول أية سلطة مركزية قوية ، وكان بامكان أية حركة أن تحرز نجاحا أوليا ـ على الاقل ـ دون أن تلفت اليها الانظار الخارجية ، وكون اماراتها وقبائلها مختلفة قد يكون من بين عوامل النجاح لتلك الحركة ، فعندما يفشل قائدها في مكان معين فان فرصة نجاحه في مكان آخر غير بعيد عنه أمر كبير الاحتمال فخلاف صاحب المكان الثاني مع صاحب المكان الاول قد يدفعه الى الترحيب بمن رفضه ، وما حدث لدعوة الشيخ محمد رحمه الله يعطي الدليل على ذلك ٠

« الهوامش »

١ ـ أحمد المنقور ، تاريخ الشيخ أحمد المنقور ، تحقيق ونشر الدكتور عبد العزيز الخويطر الرياض ، ١٣٩٠ هـ ص ١٤ ، ابن بشر ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، طبعة وزارة المعارف السعودية ، ١٣٩١ هـ ج ٢ ص ١٩٤ .

٢ ـ عبد الله بن عبد الرحمن البسام ، علماء نجد خلال ستة قرون ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ ج ١ ص ص ٥ ـ ٢١٦ .

٣ ـ المصدر السابق ، الصفحة ذاتها .

٤ ـ انظر دراسة حول هذه الوثيقة في مجلة العرب ، رجب ١٣٨٧ ص ص ٥١ ـ ٥٩ . والدراسة لعبد العزيز المبارك .

٥ ـ عبد الله بن عبد الرحمن البسام ، المصدر السابق ج ١ ص ١٩٩ .

٦ ـ المصدر السابق ج ١ ص ٢٠١ .

٧ ـ يقع هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء ويحتوي على ترجمة ٣٢٨ عالما .

٨ ـ من هؤلاء أحمد بن فيروز بن بسام ومنصور الباهلي وعبد الرحمن الباهلي وسلطان بن مغامس وعثمان بن علي بن زيد وأحمد المرشدي وحسين بن عثمان بن زيد وعبد الوهاب بن موسى ومحمد بن منصور وأحمد بن موسى الباهلي ، انظر عنوان المجد ج ٢ ص ص ١٩٤ و ٢٠٦ ، تحفة المشتاق لعبد الله المحمد البسام ورقة ٢٣ او الفواكه العديدة في المسائل المفيدة لاحمد المنقور ، دمشق ، ١٣٨٠ ج ١ ص ص ٢٢٣ ، ٣٦٠ ، ٥١٢ و ج ٢ ص ٣٢٤ .

٩ ـ عبد الله بن عبد الرحمن البسام ، المصدر السابق ج ١ ص ١٥ .

١٠ ـ المصدر السابق ج ١ ص ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ .

١١ ـ بينما سمى الشيخ عبد الله البسام مؤلفاته : التحفة في الفقه ، الروضة في الفقه ، درر الفوائد والعقيان (ج ١ ص ٢ ـ ٢٠٣) نجد المنقور يقول عن الاولين : التحفة ، الروضة ، لكنه يسمى الثالث في موضع عقيان القلائد ودرر الفوائد (الفواكه ج ١ ص ١٢٦) ويسميه في موضع آخر درر الفوائد وعقيان القلائد (الفواكه ج ١ ص ١٨٩) .

١٢ ـ عبد الله بن عبد الرحمن البسام ، المصدر السابق ج ٣ ص ٧٨٨ .

١٣ ـ أحمد المنقور ، الفواكه العديدة ج ١ ص ٥٠٦ .

١٤ ـ ابن بشر ، المصدر السابق ج ٢ ص ٢١٠ .

١٥ ـ عبد الله بن عبد الرحمن البسام ج ١ ص ٣١١ .

١٦ ـ طبعت رسالته هذه في دمشق سنة ١٣٥٠ هـ

١٧ ـ أحمد المنقور ، الفواكه العديدة ج ١ ص ٥١٤ .

١٨ ـ المصدر السابق ج ١ ص ٥١٠ .

١٩ ـ ابن بشر ، المصدر السابق ج ٢ ص ٧ ـ ١٩٨ .

٢٠ ـ ابن غنام ، روضة الافكار والافهام ، القاهرة ١٣٦٨ هـ ج ١ ص ص ١١٣ و ١٣٣ .

٢١ ـ ابن بشر ، المصدر السابق ج ٢ ص ٢٠٩

٢٢ ـ عبد الله العاتم ، خيار مايلتقط من الشعر النبطي ، دمشق ١٣٨٧ هـ ج ١ ص ص ٢١٦ و ١٢١ .

٢٣ ـ لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق أحمد أبو حاكمة ، بيروت ، ١٩٦٧ م ص ٣٣

٢٤ ـ أحمد المنقور ، الفواكه العديدة ج ١ ص ٢٢٣ .

٢٥ ـ محمد أبو زهرة ، أحمد بن حنبل ، القاهرة ، ص ص ٣٩٩ ـ ٤٠٠ .

٢٦ ـ ابن غنام ، المصدر السابق ج ١ ص ص ٧ ـ ٨ .

٢٧ ـ ابن بشر ، المصدر السابق ج ١ ص ص ١٩ و ٢٢ .

٢٨ ـ ابن غنام ، المصدر السابق ج ١ ص ١٤ و ج ٢ ص ٣ .

٢٩ ـ المصدر السابق ج ١ ص ٢١٩ .

٣٠ ـ المصدر السابق ج ١ ص ١٤٢ .

٣١ ـ المصدر السابق ج ١ ص ١٤٧ .

٣٢ ـ المصدر السابق ج ١ ص ص ١٠٨ و ١٤٤ .

٣٣ ـ المصدر السابق ج ١ ص ١٦٣ .

٣٤ ـ يرى الباحث هذا الامر واضحا في تواريخ ابن بسام والمنقور والفاخري وابن عيسى ، كما يراه أيضا في كتاب الفواكه العديدة للمنقور وفي سوابق ابن بشر نفسه .

٣٥ ـ انظر عبد الله العاتم ، المصدر السابق ج ١ ص ص ٨٩ و ٢ ـ ١١٢ و ١٣٨ .

٣٦ ـ ابن بشر ، المصدر السابق ج ٢ ص ٧

٣٧ ـ أحمد المنقور ، الفواكه العديدة ج ١ ص ١٥٠ هامش ١ .

٣٨ ـ انظر ـ مثلا ـ (علماء الدعوة) لعبد الرحمن آل الشيخ ، القاهرة ١٣٨٦ هـ ، ص ١٢ .

٣٩ ـ انظر بلجريف (رحلة عبر وسط وشرق بلاد العرب) ، لندن ، ١٨٦٥ ، ج ٢ ص ٢٧٠ .